

# عفيف بهنسي الدمشقي الموسوعي الأثاري وجوه دمشق الجمالية والمعمارية والفنية كانت هاجسه

إفزار نسيب القبانى

ولد الأستاذ الدكتور عفيف بهنسي في دمشق عام ١٩٢٨، من أسرة نسبها السيف والقلم، متمثلة بجده الأعلى الأمير المهلب بن أبي صفرة الأزدي جد العلامة الجغرافي الحسين بن أحمد المهلب، البهنسي الشهرة والأصل، القاهري المولد والنشأ، الدمشقي الوطن والوفاء. يعتقد أنه أتى إلى دمشق منذ ألف وخمسين سنة هجرية ونيف من منطقة البهنسا في الفيوم على ضفاف نهر النيل الغربية في صعيد مصر ويقال في البهنسا أنه نزل فيها عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام. وقد كان اسمها بهاء النساء نسبة إلى ابنة أحد الملوك ثم فتح العرب المسلمون البهنسا في عهد الملك الطلس بعد حصار طويل.

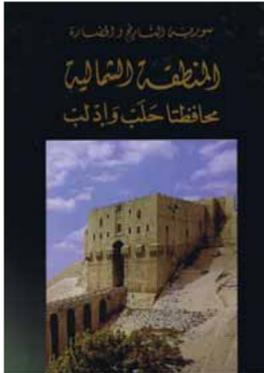
ومن أجداده مفتي الحنفية بدمشق محمد نجم الدين بن محمد شمس الدين البهنسي المتوفى ٩٨٧هـ-١٥٧٨م كما جاء في كتاب البهانسنا في دمشق يتجول القارئ في مؤلفات الباحث عفيف البهنسي، المتعددة الجوانب الأدبية والفنية والعلمية لتنتج أمامه مغاليق المعرفة المعمارية العربية والإسلامية بتجلياتها الجمالية، على صفحات كتبه (القصور الأموية) و(الشام الحضارة) و(دمشق الشام) و(الجامع الأموي) و(عمران الفيحاء) مبنياً آفاق وحدتها الفنية في (جمالية الزخرفة العربية) و(الواحة الخرفية) التي تودي بك إلى (مجاهل الأسماء في دمشق الفيحاء) وريفها على صفحات الحوليات الأثرية الصادرة في دمشق عن المديرية العامة للآثار والمتاحف، والتي أدارها الأساتذة البهنسي باقتدار حتى عام ١٩٨٧م.

في عام ١٩٧٧ تنادت كوكبة من رواد الفكر والثقافة والمعرفة في مدينة دمشق لتأسيس جمعية أصدقاء دمشق، حيث كان الدكتور البهنسي في طليعتهم وكان عضواً في مجلس إدارتها منذ عام ١٩٧٤ لغاية ١٩٩٤.

ثم تم عضواً لمجلس الإدارة منذ عام ٢٠٠٧ وحتى عام ٢٠١٥ حيث تم انتخابه رئيساً للجمعية لتلك الحقبة الزمنية.

وقد أسقى الدكتور البهنسي بشخصيته العلمية والفنية على جمعية أصدقاء دمشق بهاء نهل أقياسه من ممارسته للتصوير والنحت والتقيب عن الفنون الجميلة منذ خمسينيات القرن العشرين.

بعدما نال درجة الدكتوراه عن بحثه (أثر العرب في الفن الأوروبي المعاصر) من جامعة



السوريون في باريس ١٩٦٤، وتجددت أعماله الفنية في النحت في متحف دمشق والساحات العامة منها: الجاحظ، الفارابي، ابن النفيس، الكندي وصنّف معجماً خاصاً بالمصطلحات الفنية صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق.

حضر خلال عمله التدريسي في جامعة دمشق العديد من المؤتمرات الإقليمية والدولية المتصلة بالجناس الأدبية والآثارية والفنية أهله لأن يصبح عالماً علمياً في المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ومقرها باريس باعتباره خبيراً فيها وعضواً في مجلس إدارة مركز الأبحاث للتاريخ والدراسات (أرسيسا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومقره استنبول.

أذاق البهنسي طلابه طعم ثمار الفن الناضج على معالم طريق الفن العربي ودرهم على أن حالة التدفق تتولد في الحياة المتجددة المواره في التسنج المعماري لدمشق منذ العهود قبل الإسلامية ومنها الرومانية والبيزنطية.

وتعد دمشق إحدى المدن العشر الأكثر أهمية في العالم الروماني، ولعل أقدم ما نعرفه من تاريخ العمارة الرومانية في دمشق هو معبد جوبيتر وكنيسة حانانيا التي لجأ إليها القديس بولس بعد فراره من مطاردة اليهود له، وأجزاء السور تحتفرقه سبعة أبواب لكل باب اسم بحسب الكواكب السبعة، وأطلق على أبوابها فيما بعد أسماء كيسان والباب الشرقي للمدينة والصغير والفرج والفرايس وتوما والسلام، وقوس النصر، وهذه تقدم نماذج رائعة في العصر الروماني، وتم الكشف في العصر البيزنطي في منطقة الحريقة على بقايا قصر ذي أرضية فسيفسائية ورخامية ملونة، وابتدأت منذ الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م سلسلة من المنشآت مرت بثلاث مراحل عليها بصمات العهد السلجوقي والملوكي والعثماني.

ويشكل فن الزخرفة المعمارية الداخلية والخارجية فيه وجهاً من وجوه العمارة الدمشقية المتنوعة الأشكال والموجدة البهوية والشخصية، ويكون لجماليته الإبداعية في خصائصه الجوانبية أصالة تطرد العمارة الداخلية (البهنسي، ٢٠٠٢ ص ٢٢٧-٢٢٩ عمران الفيحاء).

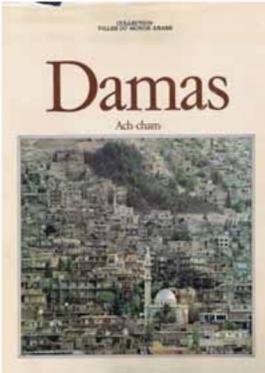
تابع البهنسي كتابة أوراقه في التاريخ لعمران دمشق وأوايدها وقصورها ومعابدها وبيوتها من حيث انتهى جده الحسن بن أحمد المهلب البهنسي (توفي ٣٨٠هـ-٩٩٠م) الذي ألف كتاباً جغرافياً عن مدينة دمشق أهداه إلى الخليفة القاضي العزيز بالله، وفيه: أما دمشق فإنها مدينة عادية أزلية وهي مدينة الشام العظمى وقصبة الجند، وقالوا: هي أرم ذات العماد وهي من أحسن البلاد وأجملها موقعاً سهلة جبلية، وفي شمالها جبل عظيم هو جبل قاسيون.

وقال: طول الغوطة ثلاثون ميلاً وعرضها أربعة من كثرة الشجر، والمياه خترق جميع هذه الغوطة فإنها مقسومة للمياه متوزعة (البهنسي ٢٠٠٢/ص ٧١).

وبعد أن يورد الدكتور البهنسي وصفاً لدمشق القديمة ومعالمها في الروبة وقاسيون وقبور الأبنية والصحابية والصالحين ودور الشفاء والتعليم من خلال مشاهدات الرحالة والجغرافيين ومنهم ابن جببر وابن بطوطة يعطف متعطرًا بأخلاق الدمشقيين وأديابهم وعاداتهم، فأهل دمشق (أحسن الناس خلقاً وحلماً وزياً) وأميلهم إلى اللهو واللعب، ويضيف ابن جببر: ومن عجب حال الصغير عندهم والكثير أنهم يمشون وأيديهم إلى الخلف قابضين بالواحدة على الأخرى، وأهل التمييز يمشون إلى اليسار، ولهم فيها قصور



## بين دمشق القديمة داخل السور ودمشق خارج السور سر خط الهدية الهندسية العمرانية وسر شخصيتها



ومواضع طيبة، وأما سائر الناس فإلى الميدان الأخضر (البهنسي، ٢٠٠٢/ص ٨٥). وبعد أن أصبحت دمشق عاصمة الدولة الأموية هفت لها قلوب الخلفاء كونها جنة الدنيا كما أن أرضها مملوءة بشجر السرو والبفسج والورود والخضار والثمار الطيبة الحاذق، وليس للزهري بالوالة المختلفة جمال على وجه الأرض كما هو عليه بدمشق (البهنسي، ٢٠٠٢/ص ٣٣-٣٤ عمران الفيحاء).

انقسمت دمشق بعد انهيار الدولة العثمانية عام ١٩١٨ إلى مدينة قديمة ضمن الأسوار ومدينة حديثة تزداد التاماً وانتظاماً خارج الأسوار. ويبلغ التناقض حده بين قسيمي المدينة في أيامنا هذه (البهنسي ٢٠٠٢/ص ٣٥) وبنيت البهنسي خطط دمشق الهندسية العمرانية ومواقع أحيائها وتطور شخصيتها ويستمرس في شرح مخططات أبنية دمشق العريقة، ويبين مواقع شبكات الطرق وتوزيع المياه على بيوتها وبيساتها ومساجدها ومدارسها ونواعيرها وحماماتها وخاناتها وطواحينها.

وإذ جاء ذكر النواعير في دمشق فألها ليست مقصورة على مدينة حماة فحسب. وللتدليل على ذلك اثبت البهنسي صورة ضوئية للناعورة التي تغذي جامع محيي الدين بن عربي من نهر يزيد (البهنسي ٢٠٠٢/ص ٣٥). ويوازن البهنسي بين البيت الدمشقي الأصلي والبيت الدخيل الذي بنتا

نأوي إليه بعد الحرب العالمية الثانية. البيت الغربي المستورد الذي لا يحترم عاداتنا ولا يقدر تقاليدنا ولا ينسجم مع مناخ بلادنا ولا يتكلم مرحلة من مراحل فن العمارة التقليدي الأصلي، ويسمي البهنسي شفق البناء الحديث بالمعلبات الطابقيه، (البهنسي ٢٠٠٢/ص ٣٣). عدا أن البيوت في دمشق القديمة أضحت

ويضاف إلى ذلك تهديد الطابع التاريخي لمدينة

## من حكايات المثل الشعبي

# خلاصة التجربة وحلاوة اللفظ وصدق الأداء



وجعلت يدينها ينصب على ما أعوج من قول أو سلوك أو تعامل ينتظم حياة الناس. بأسلوب من الزجر تارة والتقدير تارة، وأسلوب التساؤل وتحاليل العارف تارات أخرى، وكان لكثير من هذه الأمثال قصص كان من وراء كل منها الوصول إلى تقرير حقيقة أو تقديم سلوك ولا تخلو هذه القصص ما كان على سبيل التسلية، ونذكر من تلك القصص قولهم:

الإنسان، وتطلب إلى المرء أن يمتلك الجرأة والصدق والصراحة في تعامله مع الآخر قولهم: خبز الرجال على الرجال دين، وعلى الأندال صدقة. وقولهم: جكي الوجه «الواجهة» قوة، وحكي الفقا مرة. لأن من ينجز ما يعد، ويفي بما يقول، ومن يصنع المعروف مهما امتد به الزمان، فخلق بأن يشار إليه بالبنان، ويكون محظ التقدير والإقتداء، وهذا يذكرنا بقول الشاعر الحطيطي: من يفعل الخير لا يعدم جوائز / لا يذهب العرق بين الله والناس، لابد أن يكون وأحال أن كثيراً من القراء الكرام على معرفة بحكاية المثل القائل: رقة بدقة... ولو زدت زاد السقا. من حيث أن تطاول أو اعتداء المرء على من يتعامل معه مائياً أو معنوياً، لابد أن يكون بيوم من الأيام في موقع المعتدى عليه قصاصاً لما قام به من تعامل مع الآخر. فضلاً عما أشرنا إليه، فإن المرء يجد بالذاكرة



مستير كيبال

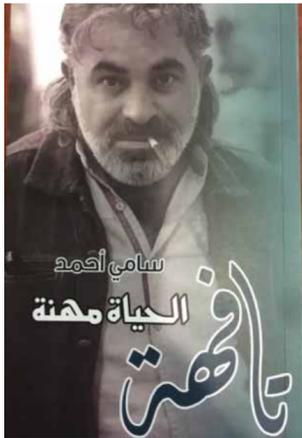
البحث في المثل الشعبي، هو بحث في حياة الناس، ونشاطاتهم وسلوكهم بل تعاملهم، فضلاً عن أخلاقهم وعاداتهم، وهو خطوة هامة في مجال الدراسات الإنسانية، وقد تصدت الأمثال فيما تصدت، إلى رصد مفارقات الحياة اليومية،

ونذكر من هذه الأمثال المثل القائل: جارك مثل أخاك... إن ما شاف وجهك شاف ففك ولهذا المثل قصة حفظها لنا تراثنا الشعبي وكان الناس يتداولونها ويجعلون هذا المثل محط الشاهد، وتتلخص هذه القصة بعدد من الجيران يسكنون بدار واحدة، وقد تقاسمت النسوة بهذه الدار أعمالاً خيرية أرض الديار (باحة الدار) بحيث يكون لكل واحدة منهن دور أو يوم للقيام بما يلزم لأرض الديار المذكورة.

وصدف أن قدم أحد الجوار إلى الدار بذلك الوقت فطرق باب الزقاق وعهد إلى الاستئذان بالمرور بأرض الديار فما كان من الجارة التي تقوم بأعمال أرض الديار إلا أن رفعت فستانها (روبيها) إلى أعلى لتخفي شعر رأسها وقالت للجار: تفضل جارنا، إن شاء الله أنت مثل أخي. ولم تشعر هذه الجارة أنها كشفت عن سابقها لتخفي شعر رأسها، فكان المثل المذكور، ليدلاً أو تذكيراً بالقصة المذكورة. وكان من أمثالنا الشعبية التي تشيد بالموقف الشهم للرجل في علاقات الإنسان بأخيه وعوفاً.

## «الحياة مهنة تافهة» نصوص نثرية لسامي أحمد

# لكي تحيا في هذه المدينة.. عليك أن تشيع دائماً جنازة الحياة



سارة سلامة

يطلق الشاعر والناشر السوري سامي أحمد الذي ينتمي لشعراء القاطع في الشعر العربي مجموعته الشعرية السادسة بعنوان «الحياة مهنة تافهة»، عن دار «التكوين» للتأليف والترجمة والنشر، يحمل نصوصاً نثرية قصيرة ومع تراجع المطولات الشعرية نرى القصائد القصيرة التي تعتبر تنقيساً عن روح الشعر أصبحت الشكل الأكثر عصرياً ربما لأنها تنسجم مع وقع الحياة المتسارع، وفي هذا الديوان ما يستدعي الاستغراب حقاً بدءاً من العنوان «الحياة مهنة تافهة»، والطبعة هي الأخيرة أما حقوق النشر فهي ناشرة، نرى حجم التمرد الذي يعيشه وانقلابه على الواقع بكل ما فيه من تفاصيل، وفي زمن ضاعت فيه الكثير من المعاني المؤنسة نرى الحد الذي يفقيه البشر كابوساً يدفعنا لتعريفه بقدر ما نستطيع، حيث يقول: دائماً «أسلك الدروب المنحرفة، كي أفلت من

طرقات تدور حول نفسها، وتعيديني إلى الجسد الذي فرمني»، ويقول أيضاً: «كل الذين أجبوني ماتوا... كل الذين أحبهم قتلوني».

ويحتوي الديوان على العناوين التالية: «في ذمة النشر، دمشق ٢٠١٣، أرملة الجسد!، عبراء غيايب سر المعنى، ليست هايكو، إلى امرأة بعينها»، واعتمد في هذا الديوان على القصيدة القصيرة جداً كما في مجموعاته السابقة، وهي في أحيان كثيرة تكون عبارة عن بيت شعري واحد مؤرغ على سطرين أو ثلاثة، على خطأ ما جاء في مجموعاته السابقة وهي: «عمل التعب»، و«خلفتني النجوم»، و«شبهتي لي»، يقدم سامي أحمد ديوانه باقتباسين من «برابر نول» حيث يقول: «يجب أن نحاطر بأنفسنا في لا -أعلم- شيئاً، في لا أرى شيئاً حتى نمضي نحو النسيان، ونجعله متجلاً للمجهول».

في قصائده القصيرة نجد أحمد يطلق صرخات متعددة يحمل فيها حالة من التمرن والهجاج حيث يقول «في هذه المدينة.. مهما مشيت إلى الأمام.. فإن الوراء يتقدمك».

وفي توصيف المعاناة والحرب وقسوة الأيام نجد هذه المقطوعات النثرية السبيل الوحيد للتنقيس عن كذا صغاراً، كما تلعب لعبة الحرب، نطلق النار على بعضنا طوال النهار... طاح طليخ طاح طليخ سقفتنا على الأرضفة، ركضنا في البراري مقلدين صوت الطائرات ثم أصبحتا حملات قاذف، وصرنا الآن نكتب الشعر بالكلاسيكوف، ويقول أيضاً: «لا وجود لشيء» في هذه المدينة، اسمه الحرية.. وما لا وجود له لا يحتاج إليه.. أيتها الحرية، اذبحيني، في هذه المدينة لا يرتفع سوى الأسيد أوريك..

دع قلبك يفكر

ومع كل هذا الألم الذي يحضنه لا بد من بزوغ أمل من بعيد ويقول: «لكي تحيا في هذه المدينة، عليك أن تشيع دائماً جنازة الحياة.. لكي تقدر أن تعيش في هذه المدينة دع قلبك يفكر وعقلك عاشقاً». وفي حالة العشق بين الرجل والمرأة نراه يبحر في عالم من الخيال مقدساً لهذه المشاعر التي تربط بين شخصين ويعتقد المكان لما يشكل له من أهمية «بين خطاك يتمشي طيف، يطفو في عينك.. يطفو.. في عيني.. عيونك الشهل في «الشعلان، بابها مطري، غيمها رواق»، وأيضاً «اللبل نقسه في باب توما.. يتعري بين أحضانك ليثام.. لم أر الطرق تطير كما رأيتهامك».